International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 2, Issue 2, 2020

Meanings of Seclusion among the Ascetics of the Second Century AH / Eighth Century CE

Dr. Firas Mohammed Hussein

University of Mosul – Faculty of Arts – Department of History

Received: 4/3/2020
Revised: 15/4/2020
Accepted: 12/5/2020
Published online: 23/6/2020

* *Corresponding author:*
Email: Hussein @gmail.com

https://doi.org/10.65811/224

Citation: Hussein. F. (2020). Meanings of Seclusion among the Ascetics of the Second Century AH / Eighth Century CE. *International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 2(2).*

©2020 The Author (s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Abstract

This study examines the concept of seclusion (ʿuzlah) among the ascetics of the second century AH / eighth century CE, addressing whether their seclusion represented a complete withdrawal from society or rather a behavioral and reformative practice aimed at moral and social reform. The research focuses on the religious, social, and political factors that led some ascetics to adopt seclusion, and clarifies the various forms this practice assumed, ranging from total seclusion to partial seclusion and verbal seclusion.The study is divided into two main sections and a conclusion. The first section addresses asceticism (zuhd) in Islam, beginning with an examination of its linguistic and technical meanings, followed by an analysis of the factors contributing to the emergence of asceticism in Islamic society. The second section is devoted to the concept of seclusion, discussing it from the perspective of the ascetics themselves, exploring the motives behind their adoption of seclusion, and identifying its different patterns.

Keywords: Meanings, Seclusion, Ascetics, Century, Hijri.

معاني العزلة عند زهاد القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد

د. فراس محمد حسين

الملخص: يتوخى هذا البحث استعراض مفهوم العزلة لدى زهاد القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد، وهل كانت هذه العزلة تامة عن المجتمع أم انها كانت ممارسة سلوكية اصلاحية الهدف منها اصلاح المجتمع ، مركزين على الأسباب التي أدت إلى عزلة بعض الزهاد من العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية ، مبينين انواع عزلة هؤلاء الزهاد والتي كانت تتراوح ما بين العزلة الكلية والعزلة الجزئية أو العزلة الكلامية، قسم البحث الى مبحثين وخاتمة ، تناول المبحث الأول الزهد في الإسلام ، فشمل اولاً معنى الزهد لغة واصطلاحاً ، وثانياً عوامل نشأة الزهد في الإسلام ، وتناول المبحث الثاني العزلة، فشمل اولاً العزلة من وجهة نظر الزهاد ، وثانياً دوافع العزلة ، وثالثاً أنماط العزلة، اما الخاتمة فتضمنت ابرز ما توصل اليه البحث من نتائج .

الكلمات الدالة: معاني، العزلة، زهاد، القرن ،الهجري .

المبحث الاول : مفهوم الزهد في الإسلام

أولاً: معنى الزهد لغة واصطلاحاً

أجمعت المعجمات العربية على أن لفظة (الزهد) تدل على عدم الرغبة في الشيء ، والرضا بالقليل منه دون طمع فيه يقال : زهد فيه وعنه زُهداً وزَهادة : أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته . وزَهُدَ في الشيء رَغَبَ عنه ، ويقال : زَهَدَ في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه . وتزهد صار زاهداً ، والزاهد هو العابد ، جمعه زُهَدٌ وزُهادٌ . والزهادة في شيء خلاف الرغبة فيه والرضا باليسير مما يتعين حِلّه وترك الزائد على ذلك لله تعالى وكذا الزهد بمعنى الزهادة [١]. فإن هذه المعاني عن الزهد في اللغة تدل في مجملها على أن معنى الزهد هو التقليل من شأن الشيء وتحقيره وعدم الرغبة فيه .

وأما في المفهوم الشرعي ، فالزهد لا يقتصر على ذلك المعنى اليسير الذي تشير إليه معجمات اللغة العربية بل (هو مفهوم معقد جداً إلى الدرجة التي لا تمكن كثيراً من الباحثين أن يقولوا فيه بقول فصل في مسماة ولا في معناه ولا في نشأته وتطوره ولا في ماهيته وابعاده ، فكثرت في ذلك الأقوال وتعددت ، متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى) [٢]. فقيل : هو بغض الدنيا والأعراض عنها ، وقيل : هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الأخرة ، وقيل : هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك .[٣]

وقال ابن قيم الجوزية بعد أن ساق اثنين وعشرين قولاً في الزهد : (والذي أجمع عليه العارفون ، أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، وأخذه في منازل الآخرة ،وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد ... ومتعلقة ستة أشياء لا يستحق العبد أسم الزهد حتى يزهد فيها ، وهي : المال ، والصور ، والرياسة ، والناس ، والنفس ، وكل ما دون الله) .[٤]

ويمكن أن نقول من خلال ما سبق : إن الزهد هو ترك التعلق بالدنيا وعدم الركون اليها ، والإقبال على الآخرة ، رغبة في ثواب الله تعالى وثقة بما عنده ، بحيث تصير الدنيا في يد العبد وليس في قلبه فلا يفرح بشيْ منها أقبل ، ولا يحزن على شيء منها أدبر .

---

[١] الجوهري ، إسماعيل بن حماد الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، (بيروت : ١٩٧٨) ، ٤٨١/٢ ؛ ابن منظور ، جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، ٢ / ٥٩١-٥٩٢ ؛ الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، قدم له وعلق على حواشيه أبو الوفا نصر الهوريني ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، (بيروت : ٢٠٠٩) ، ٣٠٩-٣١٠ . وللمزيد من التفاصيل ، ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، الأربعون في الزهد ، تحقيق ، جمال بن محمد بن محمود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠١٠) ، ٢٩-٣٠ .

[٢] محمد بركات البيلي : الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري ، دار النهضة العربية ، (القاهرة : ١٩٩٣) ، ٦-٧ .

[٣] الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٨٣) ، ١١٥ .

[٤] محمد بن أبي بكر بن أيوب ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق ، محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، (بيروت : ١٩٩٦) ، ٢ / ١٥ .

فليس مفهوم الزهد في الإسلام هو : رفض الدنيا ، وليس الغليظ من اللباس ، فقد كان داود (□) ملكاً ، وهو مع ذلك زاهد ونبينا (□) له تسع نسوة ، وهو من أزهد الخلق ، وكان أغنياء الصحابة والعلماء من بعدهم كعبد الله بن المبارك ، والليث بن سعد ، من اصحاب رؤوس الأموال وهم مع ذلك من أزهد الناس .[٥]

إن الزهد في الإسلام لم يكن مقصوراً على الزهد في المتاع والمال والدنيا كما هي صورته لدى الرهبان النصارى المنقطعين عن أمور الدنيا بكاملها ، فظهر زهد المجاهدين وزهد الامراء وزهد الفقهاء ، فمنهم من كان من كبار المجاهدين ومنهم الامراء والخلفاء ومنهم العلماء والفقهاء الذين شغلوا العالم الإسلامي بنتاجهم العلمي في الفقه والتفسير والحديث .[٦]

لقد نشأ الزهد نشأة إسلامية خالصة وكان الرسول (□) مثالاً للإيمان والتقوى والمجاهدة وقدوة صالحة للتابعين الذين عرفوا بالزهد في الدنيا والإعراض عنها والإقبال على الله تعالى وقد حفلت كتب الطبقات بذكر أخبارهم ووصف أحوالهم وإثبات اقوالهم في النسك والزهد والعبادة ومن هؤلاء التابعين فريق يعرف بأسم النساك وفريق آخر بأسم الزهاد وفريق ثالث باسم العباد ، وفريق رابع بأسم البكائين وهي تدل جميعاً على شدة العناية بأمر الدين وقلة الأقبال على الدنيا وكثرة الذكر لله تعالى والتوكل عليه .[٧]

ثانياً: عوامل نشأة الزهد في الاسلام:

- **العامل الديني** : وهو العامل الأساس والأول في نشأة الزهد ، فمما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من تحذير من الدنيا وزينتها وضرورة العمل الجاد من أجل الآخرة للظفر بثواب الجنة والنجاة من عذاب النار ، فالآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة تذم الدنيا وتزهد فيها وترغب في الآخرة وتبين شرفها عند الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[٨]. وغيرها من الآيات . وقد وقف جمع من المؤمنين يتأملون (هذه النصوص وفكروا وأطالوا التفكير فتوجسوا خيفه من أنفسهم وزاد احتقارهم لهذه الدنيا العاجلة وتاقت افئدتهم الى النعيم الخالد في الآجلة) .[٩]
- **العامل الاجتماعي والاقتصادي** : كان المسلمون الأوائل يحيون حياة يسيرة خلت من مظاهر الترف والاسراف في متع الحياة المادية ، متخذين القناعة والرضا . لكن عندما بدأ يظهر الثراء في المجتمع نتيجة الفتوحات وكثرة الغنائم ، فاصبح الناس يعيشون حياة

---

[٥] ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ٢ /١٥-١٦ .

[٦] مصطفى حلمي ، الزهاد الأوائل ، دار الدعوة للطبع والنشر ، ط١ ، (الإسكندرية : ١٩٧٩) ، ٩ .

[٧] محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، (مصر : ١٩٨٤) ، ٨٣-٨٤ .

[٨] سورة هود ، الآيات ١٥-١٦ .

[٩] إبراهيم بسيوني ، نشأة التصوف الإسلامي ، دار المعارف ، (مصر : ١٩٦٩) ، ٦٤ .

الترف والانغماس في الشهوات ، فحدث انقطاع في منظومة الزهد عما كان عليه الصحابة في صدر الإسلام ، فتولدت ردة فعل حادة لدى بعض الصحابة والاتقياء والصالحين من التابعين الذين لم يرضوا بهذه التحولات [١٠]. لذا آثر هؤلاء الانسحاب عن الحياة العامة وترك الدنيا ومغرياتها ، على ان تأثيرهم كان واضحاً ، فهم يمثلون التيار المضاد للتيار الدنيوي ، الداعي الى الآخرة والى الزهد في الدنيا والتخلي عن ملاذها .[١١]

- **العامل السياسي :**

نمت حركة الزهد في ظروف سياسية شاذة في القرن الأول الهجري كانت بدايتها الفتنة التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان (□) (٢٤-٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٥م) [١٢]. ثم حروب الخليفة علي (□) (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٥-٦٦٠م) [١٣]. مع مخالفيه ومعارضي خلافته الشرعية وكان لانتقال الملك والسيادة إلى بني أمية وما نشأ بعد ذلك من معارضة لسياستها وما اتخذته السلطة الأموية من تدابير اتسمت بالقوة والعنف في معاملة الخارجين على سلطات الدولة المتمردين عليها أثر بالغ في ازدياد شعور المؤمنين بالزهد في الدنيا ومتاعها والإقبال على الآخرة ووجدوا في القرآن الكريم والسنة النبوية خير موجه في حياتهم الزهدية فوقفوا موقف اللامبالاة اتجاه الحكام آنذاك [١٤].

المبحث الثاني : العزلة

العزلة في اللغة : مشتق من عزل الشيء يعزله أي نحيته ورأيته في معزل أي في ناحية عن قوم معتزل [١٥]، واعتزلت القوم فارقتهم وتنحيت عنهم [١٦]، ويقال العزلة عبادة [١٧]. وكنت بمعزل كذا وكذا : أي كنت بموضع عزله منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ** ﴾ [١٨].

---

[١٠] أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار المعارف ، ط١ ، (مصر : ١٩٦٣) ، ٧١ ؛ عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المذاهب الصوفية ومدارسها ، مكتبة مدبولي ، ط٢ (القاهرة : ١٩٩٩) ، ٥٤ .

[١١] احسان عباس ، الحسن البصري سيرته وشخصيته تعاليمه وآراءه ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٥٢) ، ٣٥ .

[١٢] ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم الجزري ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ٢ / ٥٢٦-٥٤٦ .

[١٣] الدينوري ، أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، (القاهرة : ١٩٦٠) ، ١٤٤ .

[١٤] البير نصري نادر ، التصوف الإسلامي ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : د/ت) ، ٩ ؛ مفيد محمد نوري ، اعلام الصوفية في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري، مجلة اداب الرافدين ، كلية الاداب ، العدد (١) ، (جامعة الموصل ، ١٩٧١) ، ١٩٤ .

[١٥] الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (بغداد : د/ت) ، ١ / ٣٥٣ .

[١٦] الأزهري ، محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠١) ، ٢ / ٨٠ .

[١٧] الفراهيدي ، العين ، ١ / ٣٥٣ .

[١٨] سورة الدخان ، الآية ٢١ .

أي إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا على ولا معي [١٩]. وعلى ذلك فإن العزلة لفظ يدل في اللغة على التنحية والانفراد والانقطاع.

وأما العزلة اصطلاحاً : هي الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع .[٢٠]

أولاً : العزلة عن المجتمع من وجهة نظر الزهاد

تعد العزلة من المظاهر السلوكية التي حرص كثير من الزهاد على الدعوة إليها والأخذ بها ، فأصبحت جزءاً من شخصياتهم . فقد مال أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة [٢١]. وذلك لأن العزلة والخلوة في حياة الزهاد أهمية كبيرة لأنها تخدم الجانب العملي والذوقي معاً فهي تهذيب النفس التي وجدوا أنها أعدى أعداء الإنسان لما فيها من نزعات سلبية وتصفيها وتروضها على الامتناع وصرف النفس عما اعتادته من انحرافات ، فضلاً عن مقاومة أهوائها وهدم كبريائها ، وحجبها عن كثير من أخلاق السوء التي قد تنشأ من مخالطة الناس [٢٢]. فالزاهد الذي يفر بدينه إلى الله تعالى لا يصفو له مشرب الفرار الا اذا اتخذ العزلة طريقاً في الحياة فيدفع بذلك عن نفسه هجمات الفتن وشرور الدنيا ، فالحياة في مفهوم الزاهد ليست الا قنطرة عبور يلجأ خلالها إلى الاخرة [٢٣]. لذلك فقد دعا إليها كل من : (سليمان الخواص [٢٤]، سفيان الثوري [٢٥]، وإبراهيم بن ادهم [٢٦]، وداود الطائي ، [٢٧] والفضيل بن عياض [٢٨]، ويوسف بن

---

[١٩] ابن سيده ، علي بن اسماعيل ، المحكم والمحيط الاعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ١ / ٥١٩ .

[٢٠] ابن سيده ، علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ١ / ٥١٩ .

[٢١] الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٤) ، ١ / ٦٦٢ .

[٢٢] عبد الستار السيد متولي : أدب الزهد في العصر العباسي نشأته وتطوره وأشهر رجاله ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، (جامعة القاهرة : ١٩٧٢) ، ٢٧٢ .

[٢٣] أمين يوسف عودة ، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفي ابن عربي ، شركة الاوسط للطباعة ، ط١ ، (الاردن : ١٩٩٥) ، ١٥٨-١٥٩ .

[٢٤] هو سليمان الخواص ، يكنى ابو ايوب ، كان زاهداً ورعاً عابداً ، مجاهداً ، وكان أكثر مقامه ببيت المقدس ، ودخل بيروت مرابطاً ، توفي سنة (١٦٠ هـ) . ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ١٩٩٢) ، ٨ / ٢٤٣ ؛ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق ، عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٩٣) ، ١٠ / ٢٥٠ .

[٢٥] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، يكنى ابو عبد الله ، ولد ونشأ في الكوفة وكان عابداً زاهداً ثقة مأموناً ثبتاً كثير الحديث ، توفي بالبصرة سنة (١٦١ هـ) ، ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ١٩٩٠) ، ٦ / ٣٥٠ ؛ ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٧١) ، ٢ / ٣٨٦ .

[٢٦] هو إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي ، يكنى أبو اسحق ، كان من أبناء الملوك ، ثم تاب وترك الإمارة ، وسلك طريق الزهد والورع ، ودخل الشام فكان يأكل من عمل يده ، روى عن جماعة من التابعين ، توفي بالشام سنة (١٦٢ هـ) ، السلمي ، محمد بن الحسين بن موسى ، طبقات الصوفية ، تحقيق أحمد الشرياصي ، مؤسسة دار الشعب ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٨) ، ١٥ ؛ الجامي ، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، نفحات الأنس من حضرات القدس ، الأزهر الشريف ، (القاهرة : ١٩٨٩) ، ١٠٤ .

[٢٧] هو داود بن نصير الطائي ، يكنى أبو سليمان من عباد الكوفة وزهادها وكان كير الشأن أسند عن جماعة من التابعين ، توفي سنة (١٦٥هـ). . ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك ابن محمد ، المختار من مناقب الأخيار ، حققه وعلق عليه مأمؤن الصاغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد اديب الجادر ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط١ (الامارات العربية المتحدة : ٢٠٠٣) ، ٢ / ٢٧٥ ؛ ابن الملقن ، عمر بن علي الانصاري ، طبقات الأولياء ، تحقيق ، نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٤) ، ٢٠٠ .

أسباط ، [٢٩] وحذيفة المرعشي [٣٠]، وبشر الحافي (.[٣٢] [٣١]وغيرهم . كما يرى منصور بن المعتمر [٣٣]، أن الزهد في لقاء الناس من أعظم الزهد في الدنيا [٣٤]. ومن الشواهد على هذه الدعوات والأفكار المتضمنة على إيثار العزلة : قول مكحول الشامي[٣٥] : (إن كان الفضل في الجماعة ، فإن السلامة في العزلة) [٣٦]، وقال داود الطائي : (توحش من الناس كما تتوحش من السباع) [٣٧]. وقال بشر الحافي : (حب الدنيا حب لقاء الناس ، والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس) [٣٨]، ولم تكن رؤيتهم تلك إلا نتاجاً للالتزام بطريق الزهد في محاولة منهم للحفاظ على هذا المنهج بالأبتعاد عن تأثيرات الآخرين التي قد تؤدي إلى التأثير في قناعاتهم . وفي الحقيقة فإن دعوة هؤلاء الزهاد وجدت لها أصلاً في عدد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي دعت إلى اعتزال الناس ، فقد جاءت العزلة في القرآن الكريم والسنة النبوية في عدة معاني ، تتراوح بين المفارقة الكلية المطلقة والمفارقة الجزئية وبين الأعتزال الحسي والأعتزال المعنوي [٣٩]، وقد جمع

---

[٢٨] هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي يكنى أبو علي ، شيخ الحرم المكي ولد بسمرقند وقدم الكوفة وهو كبير ثم انتقل إلى مكة ، كان مشاطراً يقطع الطرق ثم تاب والتزم طريق الزهد والعبادة ، توفي سنة= =(١٨٧هـ) . القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ، الرسالة القشيرية ، وضع حواشيه ، خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط٤ ، (بيروت : ٢٠٠٩) ، ٢٥ ؛ السلمي ، طبقات الصوفية ، ١١ .

[٢٩] هو يوسف بن أسباط ، يكنى أبو محمد ، من عباد الثغور والعواصم له مواعظ وحكم ، توفي سنة (١٩٩ هـ) . ابن الأثير ، المختار من مناقب الخيار ، ٥ / ١٧٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ٨١ .

[٣٠] هو حذيفة بن قتادة المرعشي ، من عباد الثغور ، اشتهر بالزهد والعبادة ، وصحب سفيان الثوري وسمع فيه ، توفي سنة (٢٠٧ هـ) . ابن الأثير ، المختار من مناقب الخيار ، ٢ / ١٦٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٤ / ٩٦ .

[٣١] هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن ، يكنى أبو نصر ويلقب بالحافي لكثرة ما كان يمشي حافياً ، كان من أبناء أهل خراسان ثم نزل بغداد ، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد توفي سنة (٢٢٧هـ) . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٢٤٦ ؛ الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، (بيروت : ٢٠٠٤) ، ٧ / ٧١ .

[٣٢] الذماري ، يحيى بن حمزة بن علي ، تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب ،اعتنى به وخرج احاديثه عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٧) ، ٣٣٣ .

[٣٣] هو منصور بن المعتمر السلمي ، يكنى أبو عتاب ، من عباد أهل الكوفة وزهادها أسند عن أنس وجماعة من كبار التابعين ، توفي سنة ١٣٢هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٢٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ٣١٩ .

[٣٤] المناوي ، عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين ، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، (القاهرة : د/ت) ، ١ / ٣٠٥ .

[٣٥] هو مكحول بن عبد الله يكنى أبو عبد الله ، كان من سبي كابل ثم أصبح مولى لإمرأة من قريش ، من تابعي أهل الشام مشهور بالفقه والورع ، توفي سنة (١١٨هـ) . الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، ط١ ، (بيروت : ١٩٧٠) ، ٧٥ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٥ / ٥٢ .

[٣٦] ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد ، العزلة والأنفراد ، تحقيق ، سعد عبد الحميد السعدني ، مكتبة الفرقان ، (القاهرة : د/ت) ، ٢٦ .

[٣٧] ابن أبي الدنيا ، العزلة والأنفراد ، ٢٤ .

[٣٨] ابن الأعرابي ، أحمد بن محمد بن زياد ، الزهد وصفة الزاهدين ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الصحابة للنشر والتوزيع ، ط١ (مصر : ١٩٨٨) ، ٢٥ ؛ وللمزيد من النماذج ينظر ، الخطابي ، حمد بن محمد بن إبراهيم ، العزلة ، المطبعة السلفية ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٧٨) ، ١٨ ؛ أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد= =بن عبد الله بن أحمد ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، دراسة وتحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط٤ ، (بيروت : ٢٠١٠) ، ٨ / ٩٧ ؛ البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ، كتاب الزهد الكبير ، تحقيق ، عامر أحمد حيدر ، دار الجنان ، ط١ ، (بيروت : ١٩٨٧) ، ١٠٦ ؛ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة ، ضبطه وخرج اياته واحاديثه وعلق عليه ؛ عبد الرحمن اللادقي وحياة شيحا اللادقي ، دار المعرفة ، ط٤ ، (بيروت : ٢٠٠١) ، ٣ / ١٩٨ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ١٨٨ .

[٣٩] سلمان بن فهد العودة ، العزلة والخلطة ، سلسلة رسائل الغرباء ، (المملكة العربية السعودية : ١٩٩٢) ، ١٦ .

هذه المعاني الراغب الأصفهاني بقوله : (الأعتزال تجنب الشيء عمالة كانت أو براءة أو غيرها بالبدن كان ذلك أو بالقلب) .[٤٠]

ومن هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً . فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً** ﴾[٤١]. وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾[٤٢]. وأما أحاديث مدح العزلة فأكثرها لمدح نوع خاص منها ، أو مدح العزلة في زمن خاص كمدح العزلة عن سلاطين السوء ومدح العزلة في زمن الفتنة ، أما مدح العزلة مطلقاً فلم يثبت فيه من الأحاديث إلا القليل .[٤٣]

ومن هذه الأحاديث قوله (□) : (يأتي على الناس زمان خير ما للرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)[٤٤]. وعندما سئل النبي (□) : عن أفضل الناس قال : (رجل مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله) ثم قيل من ؟ قال : (ثم أمرؤ في شعب من الشعاب يعبد الله عز وجل ويدع الناس من شره) .[٤٥]

ويجب أن نشير هنا إلى أن الدين الإسلامي هو دين الجماعة ، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كانت تدعو إلى العزلة في حالات معينة مثل حالات الفتن والاضطرابات ، فإذا خاف المرء على دينه ونفسه فهنا تكون العزلة له أسلم وإلا فالإسلام هو دين الجماعة والأصل في المسلم الاختلاط بالناس ومعاشرتهم بحسن أخلاقة ، ولذلك جاء الشرع الحنيف بالأمر بالجماعة في الصلوات يوم الجمعة والفرائض والعيدين وغيرها ، كما إن العزلة الكلية المطلقة قد يترتب عليها تضييع الحقوق وتفويت الفرائض وتعطيل كثير من الواجبات كترك التعلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الرحم والقرابة ، ويحرم من نيل ثواب بعض الأعمال مثل صلاة الجنائز وعيادة المرضى وغيرها من أعمال البر[٤٦]. ولكن مع هذا كانت هناك دوافع حملت الزهاد إلى اختيار العزلة والدعوة إليها .

ثانياً : دوافع العزلة

---

[٤٠] الحسين بن محمد بن المفضل ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق ، صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، ط١ ، (دمشق : ١٩٩١) ، ٥٦٤-٥٦٥ .

[٤١] سورة مريم ، الآيتان ٤٨ -٤٩ .

[٤٢] سورة الكهف ، الآية ١٦ .

[٤٣] سلمان بن فهد العودة ، العزلة والخلطة ، ١٨ .

[٤٤] البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، (المملكة العربية السعودية : ٢٠٠١) ، ٨ / ١٠٤.

[٤٥] ابن ماجه ، أحمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، (القاهرة : ٢٠١١) ، ٤٠٩ .

[٤٦] ينظر ، المقدسي ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة ؛ مختصر منهاج القاصدين ، مكتبة الشرق الجديد ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ١٤٧-١٥٠ .

- **الدافع الديني :**

فالانعزال عن الناس هو أساساً مبدأ يلتزم به الزاهد في سبيل التفرغ للعبادة والتفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والأشتغال بالكشف عن أسرار الله تعالى في أمر الدين والدنيا ، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة [٤٧]. قال ابن الجوزي ، (كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد) [٤٨]. ولذلك فقد عدّ محمد بن سيرين [٤٩]العزلة من العبادة [٥٠]. ولهذا تمنى لو أن له سرداباً يخلو فيه لعبادة الله تعالى [٥١]. وقد حملت العبادة أيضاً حفصة بنت سيرين [٥٢]، على اعتزال الناس إذ بقيت متعبدة في مصلاها ثلاثين عاماً لا تخرج إلا لقائلة أو لقضاء حاجة [٥٣]. وقال الفضيل بن عياض : (إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيئني من يشغلني عن ربي) [٥٤]. وكذلك أعتزل بشر الحافي الناس لغرض التعبد لله تعالى .[٥٥]

كما إن الاستئناس بمناجاة الله تعالى والتلذذ بها حملت بعضهم على اختيار العزلة حباً بالله تعالى ، قال مسلم بن يسار[٥٦] : (ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة – العزلة – بمناجاة الله عز وجل والأنس بمحبته) [٥٧]. وعندما رؤي إبراهيم بن أدهم خارجاً من الجبل بعد أن كان معتزلاً فيه قيل له : (من أين؟ قال : من الأنس بالله عز وجل) [٥٨]. كما كان محمد بن النظرالحارثي [٥٩] من المجتهدين في العبادة والمؤثرين للعزلة ، فقيل له أما تستوحش فقال : (كيف استوحش وهو

---

[٤٧] الذماري ، تصفية القلوب ، ٣٣٥ .

[٤٨] تلبيس أبليس ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، (القاهرة : ٢٠١١) ، ٢٨٠ .

[٤٩] هو محمد بن سيرين البصري ، يكنى ابو بكر ، مولى أنس بن مالك ، كان زاهداً ثقة مامونا فقيهاً ورعاً واشتهر بتعبير الرؤية ، توفي سنة ١١٠هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٤٣ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ١٣٨ .

[٥٠] ابن أبي الدنيا ، العزلة ، ٢١ .

[٥١] الدريني ، عبد العزيز ، طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ٢٠٠٣) ، ٢٠٨ .

[٥٢] هي حفصة بنت سيرين تكنى أم الهذيل من متعبدات البصرة وكانت مثل أخيها محمد بن سيرين في الزهد والورع ، روت عن سلمان بن عامر وعن أم عطية الأنصارية وعن أبي العالية ، توفيت سنة (١١٠ هـ) . السلمي ، ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، تحقيق ، محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، (القاهرة : ١٩٩٣) ، ٥١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ١٧١ .

[٥٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، ط١ ، (القاهرة : ٢٠٠٣) ، ٤ / ٢٧٢ .

[٥٤] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ١ / ٦٦٨ .

[٥٥] ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٢٤٦ .

[٥٦] هو مسلم بن يسار البصري ، يكنى أبو عبد الله مولى بني أمية ، من عباد التابعين وزهادهم ، كان يعد خامس خمسة من فقهاء أهل البصرة ، توفي سنة (١٠١هـ) . الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ٨٨ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٥ / ١٣ .

[٥٧] الخلدي ، جعفر بن محمد بن نصير ، الفوائد والزهد والرقائق والمراثي ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الصحابة للتراث (القاهرة : ١٩٨٩) ، ٣١ .

[٥٨] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ٢٠

[٥٩] هو محمد بن النظر الحارثي يكنى أبا عبد الرحمن ، كان من أعبد أهل الكوفة فشغلته العبادة عن الرواية ، توفي سنة (١٧٤ هـ) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ / ٢٦٩ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٤ / ٤٦٥.

يقول أنا جليس من ذكرني) [٦٠]. وقال ذنون المصري [٦١]: (سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه) .[٦٢]

ووجد هؤلاء أن العزلة تقيهم من الوقوع في المعاصي التي قد يتعرض لها الفرد غالباً بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة كالرياء والغيبة والنميمة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من المعاصي [٦٣]. فالرياء هو الداء العضال الذي يعسر على العباد والزهاد الاحتراز عنه [٦٤]. فبالعزلة يبتعد الزاهد عن الرياء لأنه من الصعوبة أن يطلع أحد على عبادته ، وفي ذلك قال سفيان الثوري : (من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ، ومن راءاهم وقع فيما وقعوا ، فهلك فيما هلكوا) [٦٥]. كما إن الخوف من الرياء من الأسباب التي حملت داود الطائي إلى اعتزال الناس[٦٦] . ووجد الفضيل بن عياض أيضاً أن مخالطة الناس لا تخلو من الرياء ، إذ قال : (من أستوحش من الوحدة وأستأنس من الناس لم يسلم من الرياء) . [٦٧]

فتكون عبادته لله تعالى خالصة حقاً ، قال ذنون المصري : (لم أرَ شيئاً أبعد لطلب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم يرَ غير الله تعالى ، فإذا لم يرَ غيره لم يحركه إلا حكم الله ، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان الصدق).[٦٨]

كما تقي العزلة الزاهد من الوقوع في الغيبة وهي من آفات اللسان المهلكة ، فإن عادة الناس كافة الخوض بأعراض غيرهم والتفكه بها ، فإن خالطهم المرء ووافقهم يأثم وإن سكت كان شريكاً معهم فإن المستمع أحد المغتابين ، وإن أنكر عليهم أبغضوه واغتابوه فازدادوا غيبة إلى الغيبة [٦٩] . وفي ذلك قول سفيان الثوري : (أقلّ من معرفة الناس تقل غيبتك) [٧٠]. واعتزل عبد الله بن المبارك[٧١] الناس ولم يجلس معهم لأنهم كثيراً ما يغتابون بعضهم .[٧٢]

---

[٦٠] المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٢٩٢ .

[٦١] هو ثوبان بن إبراهيم المصري ، يكنى أبو الفيض ، وذو النون لقبه ، أشتهر بالزهد والورع والعلم وكان من تلامذة مالك بن أنس توفي سنة (٢٤٥هـ) . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٣١٥ ؛ ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ٢١٨ .

[٦٢] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ١ / ٦٦٨ .

[٦٣] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ١ / ٦٦٩ .

[٦٤] الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ١ / ٦٧٠

[٦٥] اليافعي ، عبد الله بن اسعد بن علي ، الارشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، عني به أنس محمد عدنان ، دار المنهاج ، ط١ (بيروت : ٢٠٠٧) ، ١٣٣ .

[٦٦] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٧ / ٣٩٩ .

[٦٧] ابن أبي الدنيا ، العزلة ، ٢٧ .

[٦٨] السلمي ، طبقات الصوفية ، ١٣ .

[٦٩] الغزالي ، أحياء علوم الدين ، ١ / ٦٦٩ .

[٧٠] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٧ / ٩ .

[٧١] هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، يكنى أبو عبد الرحمن ، مولى بني حنظلة كان فقيهاً زاهداً عابداً ، تفقه على يد سفيان الثوري ومالك بن أنس ، توفي سنة (١٨١هـ) . الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ٩٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٩ / ٥٨ .

[٧٢] ابو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ١٧٥ .

كما حذر سليمان بن طرخان [٧٣]، من مخالطة الناس لذات السبب ، إذ قال : (إني من جليسي لمن شره ؛ إما أن يغتاب عندي صديقاً ، وإما أن يحمل عني شيئاً لم أتكلم به) [٧٤]. كما أن العزلة تقي الزاهد من أن يقع بالإثم إذا ما رأى منكراً لا يستطيع تغييره ، قال الفضيل بن عياض : (من خالط الناس لا ينجو من إحدى اثنتين ؛ إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل أو يسكت إن رأى منكراً فيأثم) .[٧٥]

- **الدافع الإجتماعي :**

عبرت العزلة عن سلوك اجتماعي باعثه الرئيس ما طرأ على المجتمع من عيوب وآفات وانحرافات أدت في بادئ الأمر إلى تحفظ الزهاد على هذه الأنماط السلوكية المستجدة ، وبمرور الزمن ازدادت الهوة اتساعاً بينهم وبين محيطهم الاجتماعي ، فكلما زاد إقبال الناس على المفاسد ازدادوا هم زهداً وإعراضاً عنهم ، وفي نهاية المطاف وجد بعض الزهاد أنهم غير قادرين على مواصلة نشاطهم الاجتماعي الإصلاحي فنادوا بالعزلة استهجاناً واستنكاراً لهذه الآفات الاجتماعية . يقول نيكلسون في هذا الصدد : (وبينما كان من بين هؤلاء الزهاد الأوائل بعض العلماء الذين عاشوا في المدن ولم يحرموا على أنفسهم الاختلاط مع الناس والعيش بين ظهرانيهم ، نرى أن حركة الزهد تغلغلت إلى نفوس العامة من المسلمين الذين نظروا إلى الحياة ومتاعها نظرة استخفاف واحتقار وفروا من الحياة الاجتماعية فراراً لاجئين إلى الكهوف والمقابر أو هائمين على وجوههم في الصحاري والجبال وسواحل البحار ... وفرّ بعضهم من وجه الدنيا إلى الخانقاوات التي ابتدأت تظهر قبل نهاية القرن الثاني للهجرة . ولم يكن نصيب النساء من تلك الحركة أقل من نصيب الرجال) [٧٦] . ومن الشواهد على تحفظ الزهاد على المجتمع وأدت إلى عزلة بعضهم فيما بعد :

قول مالك بن دينار[٧٧] : (منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أحزن لذمهم ، قالوا : كيف ذلك يا أبا يحيى ، قال إني لا أرى إلا مادحاً مفرطاً أو ذاماً مفرطاً) [٧٨]. وقال وهيب بن الورد [٧٩]: (

---

[٧٣] هو سليمان بن طرخان التيمي ، يكنى أبو المعتمر من عباد أهل البصرة وزهادهم كان ثقة كثير الحديث توفي سنة(١٤٣هـ) . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٨٨ ؛ ابن حبان ، محمد بن احمد البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، وضع حواشيه وعلق عليه مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ١٩٩٥) ، ١١٨ .

[٧٤] الحافظ السلفي ، أحمد بن محمد ، المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير دار الفكر ، ط١ ، (دمشق : ١٩٨٦) ، ١٦٦ .

[٧٥] الخطابي ، العزلة ، ٢٧ .

[٧٦] في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ترجمة وتعليق ، أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (مصر : ١٩٤٧) ، ٤٧-٤٨ .

[٧٧] هو مالك بن دينار البصري ، يكنى أبا يحيى مولى بني سامة ، أحد تابعي البصرة وعلمائها وزهادها ، جمع بين العلم والورع والعمل ، توفي سنة ١٣١هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٨٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤ / ١٣٩ .

[٧٨] الخطابي ، العزلة ، ٦١ .

[٧٩] هو وهيب بن الورد بن أبي الورد القرشي ، يكنى أبو عثمان ، مولى بني مخزوم ، من المتجردين للعبادة والمتقشفين في الزهادة ، أدرك جماعة من التابعين واشتغل بالعبادة عن الرواية ، توفي سنة ١٥٣هـ . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٧٨ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٥ / ١٢٠ .

خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً ولا وصلني إذا قطعته ولا ستر لي عورة ولا أئتمنه إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير) [٨٠]. وعندما قيل لداود الطائي لو جالست الناس قال : (إنما أنت بين اثنين بين صغير لا يوقرك وبين كبير يحصي عليك عيوبك) [٨١]. وقال أبو الحارث المحاسبي [٨٢]: (لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنساً ، ولو أن النصف الاخر ناءٍ عني ما استوحشت لبعدهم) .[٨٣]

فالأقوال آنفة الذكر عبرت عن نظرة الزهاد المتحفظة على المجتمع ، وتنطلق بالاستناد على نزعتهم الزهدية لا على أساس الاعتبارت المادية والاجتماعية وهي نظرة فاحصة تنطلق من روح الشرع وتتخذه معياراً لها في التعامل مع الناس . وكنتيجة لتحفظ هؤلاء الزهاد على المجتمع . ارتفعت أصوات عدد كبير منهم إلى الدعوة لالتزام العزلة والتفرد . من ذلك قال إبراهيم بن أدهم :

ارض بالله صاحباً وذر الناس جانباً
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً [٨٤]

وقال عبد الله بن المبارك : (فر من الناس كفرارك من الأسد) [٨٥]. وقال محمد بن يوسف الاصفهاني[٨٦] : (من أحب الله أحب أن لا يعرفه أحد) .[٨٧]

وقال الشافعي :

ليت الكلابَ لنا كانت مجاورةً وأنّنا لا نرى ممن نرى أحداً
إن الكلابَ لتهدا في مواطنها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا
فأحفل لنفسك في تفريدها أبداً تعش حميداً إذا ما كُنت منفردا.[٨٨]

- **الدافع السياسي :**

---

[٨٠] ابو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ١٥٥ .

[٨١] البيهقي ، كتاب الزهد الكبير ، ١٠٣ .

[٨٢] هو الحارث بن أسد المحاسبي ، يكنى أبو عبد الله ، العابد الزاهد العالم وهو استاذ اكثر البغداديين له مؤلفات كثيرة في الزهد والعقائد ، توفي سنة (٢٤٣هـ) . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٠٧ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٢ / ١٤٤ .

[٨٣] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٢٠٩ . وللمزيد من النماذج ينظر : ابن المبارك ، عبد الله بن المبارك المروزي ، كتاب الزهد والرقائق ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : د/ت) ، ٦٠ ؛ ابو حاتم الرازي ، محمد بن أدريس بن المنذر ، الزهد ، تحقيق ، منذر سليم محمود ، دار أطلس للنشر ، ط١ ، (الرياض : ٢٠٠٠) ، ٥٧ ؛ أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٥ / ٢٥٩ ؛ ٨ / ١٦ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٤ / ٣٧٥ ؛ الزمخشري ، محمود بن عمر ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق ، سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٩٨٢) ، ٢ / ٣١٥ ؛ ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ٢٦٩ .

[٨٤] الخطابي ، العزلة ، ١٨ .

[٨٥] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ١٧٥ .

[٨٦] هو محمد بن يوسف بن معدان الأصفهاني ، يكنى أبو عبد الله ، ويلقب بعروس الزهاد ، لكثرة اجتهاده في العبادة والزهد ، توفي مرابطاً بالمصيصة سنة (١٨٤هـ) . ابو الشيخ الاصفهاني ، عبد الله بن محمد ، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين إليها ، تحقيق عبد الغفور عبد الحق ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٩٢) ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٢٩٦ .

[٨٧] المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٢٩٦ .

[٨٨] الخطابي ، العزلة ، ٥٦ .

أدت الفتن والاضطرابات والتقلبات السياسية وجور الحكام إلى عزلة بعض الزهاد ، فعندما اعتزل طاووس بن كيسان [٨٩]سئل عن سبب ذلك قال : (هبت الأمير وفساد الناس) [٩٠]. وعند وقوع فتنة ابن الأشعث قال مالك بن دينار : (لقد هممت أن أخذ الأرض بقدمي وأن أشرب من أفواه الأنهار وآكل من بقل البرية حتى يحكم الله بين عباده) [٩١]. أي أراد أن يعتزل هذه الفتنة .

وسئل حاتم الأصم [٩٢]عن سبب عزلته قال (بينهم سلاطين الجور يفتنونا عن ديننا فالتخلي منهم أولى) .[٩٣]

ثالثاً : أنماط العزلة

ولا بد من أن نشير هنا أن العزلة التي نادى بها هؤلاء الزهاد لم تكن قطعية نهائية كلية بل حكمتها ضوابط عملت على إدامة علاقة الزاهد في أثناء عزلته مع المجتمع بطريقة أو بأخرى ، وهي :

أن لا يترك المعتزل جماعة المسلمين وينسلخ عنهم بل حرص الزهاد على حضور صلاة الجماعة والجمعة ، قال داود الطائي لرجل : (أجتنب الناس غير تارك لجماعتهم) [٩٤]. وقال ابراهيم بن أدهم : (فروا من الناس كفراركم من السبع الضاري ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة) [٩٥]. فليست الغاية من العزلة الإنقطاع الكلي عن المجتمع وإنما هي مشروع اصلاحي ، فبحضور الصلوات في المسجد وصلاة الجمعة والعيدين فإن الزاهد سوف يؤجر ويمكن أن يقوم بدوره الاصلاحي في توجيه الناس والأمر والنهي .

وكذلك ينبغي للمعتزل أن يتفقه قبل العزلة لكي يكون على دراية بالأحكام الشرعية ، قال محمد بن نضر الحارثي : (تفقه ثم أعتزل) [٩٦]. وقال عبد الله بن عون بن أرطبان [٩٧]:(ثلاث أرضاها لنفسي ولإخواني ، الأول أن يتعلم المسلم القرآن ويقرأه ويتدبره ، والثانية أن يسأل عن السنة ويتبعها جهده ، والثالثة أن يدع هؤلاء الناس) .[٩٨]

---

[٨٩] هو طاووس بن كيسان اليماني ، يكنى أبو عبد الرحمن ، من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى لليمن جمع بين العبادة والزهد ، والعلم النافع والعمل الصالح ، أدرك خمسين من الصحابة وروى عنهم ، توفي سنة (١٠٦هـ) . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٥٠ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٣ / ١٦٤ .

[٩٠] ابن أبي الدنيا ، العزلة ، ٤٩٢ .

[٩١] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٢ / ٤١٧ .

[٩٢] هو حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم ، يكنى أبو عبد الرحمن من كبار مشايخ خراسان وأقدمهم كان عابداً زاهداً توفي سنة (٢٣٧هـ) . السلمي ، طبقات الصوفية ، ٣٠ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ٤٢ .

[٩٣] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ٧٧ -٧٨ .

[٩٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٦٤ .

[٩٥] البيهقي ، كتاب الزهد الكبير ، ١٠٦ .

[٩٦] المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٢٩٣ .

[٩٧] هو عبد الله بن عون بن أرطبان يكنى أبا عون مولى عبد الله بن درة المزني من أورع أهل البصرة وأفضلهم ، توفي سنة ١٥١هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٩٣ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٨٠ .

[٩٨] الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ١ / ٧٧٠ .

ومن ناحية أخرى فقد تباينت طرائق الزهاد في عزلتهم ما بين العزلة الكلية أو العزلة الجزئية أو الكلامية أو حتى القلبية ، ويبدو أن السبب في هذا الاختلاف يعود إلى اختلاف مفهومهم للعزلة واختلاف الظروف التي حملتهم إلى العزلة .

فمنهم من أعتزل كلياً وكان متطرفاً في عزلته وذلك لتشدده وحذره الكبير من المجتمع ومن هؤلاء زياد بن ميسرة [٩٩] ، الذي كان يؤثر العزلة والانفراد بنفسه فلا يجالس أحداً [١٠٠]. واعتزل داود الطائي في بيته عشرين سنة حتى مات [١٠١]. وكان لا يخالط أحداً ، وكان إذا أنتهى من صلاة الفريضة أسرع إلى منزله [١٠٢] . وإذا زاره أحد قال له : (كنت تأتينا إذ كنا ثم ما أحب أن تأتيني) [١٠٣] . وبلغ به الأمر أن أعتزل أَصحابه من الزهاد ، قال أبو أسامة : (جئنا أنا وسفيان بن عيينة إلى داود الطائي فقال : قد جئتماني مرة فلا تعودا إليّ) . [١٠٤]

واعتزل يوسف بن أسباط في قرية من قرى أنطاكية وكان لا يخالط أحداً من الناس ولا يخرج إلا في مواقيت الصلاة [١٠٥].وأعتزل حاتم الأصم الناس في قبة له ثلاثين عاماً لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لا بد له من الجواب عليها .[١٠٦]

وذهب بعضهم إلى ما هو أخف من ذلك كما عبر عنه الخطابي بقوله : (ولسنا نريد بهذه العزلة التي تختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات وترك حقوقهم في العبادات وافشاء السلام ورد التحيات وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم ، ووضائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم فإنها مستثنات بشرائطها جارية على سبلها مالم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر وإنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها) .[١٠٧]

فهؤلاء الزهاد كانت عزلتهم جزئية ، محتفظين بقدر مناسب من الصلة مع الناس يحفظ الصلة مع المحيط في إطارها العام من دون التفصيل في العلاقات إلى ما يزيد على ذلك ، قال عبد الله بن المبارك ، : (العزلة هو أن تكون مع القوم فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا

---

[٩٩] هو زياد بن ميسرة ، مولى عبد الله بن عياش القرشي ، من عباد أهل المدينة وزهادهم ، كان صديقاً لعمر بن عبد العزيز ، توفي سنة ١٠٤هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٥ / ٢٣٣ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ٩٩ .

[١٠٠] ابن ابي الدنيا ، العزلة ، ٣٧ .

[١٠١] ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٤٧ .

[١٠٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٦٤ .

[١٠٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٦٤ .

[١٠٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٦٤ .

[١٠٥] المالكي ، أبو بكر أحمد بن مروان ، المجالسة وجواهر العلم ، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ، ٣ / ١٠٥ .

[١٠٦] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ٧٧ . وللمزيد من النماذج ينظر : ابن ابي الدنيا ، العزلة ، ٤٣، ٤٩ ؛ الخطابي ، العزلة ، ١٩ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٣ / ٥ ؛ ٣ / ٢٣٥ ؛ ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله ، تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق علي عاشور الجنوبي ، دار التراث العربي ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠١) ، ٥٦ / ١٦٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٢٧٢ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية ، للطباعة والنشر ، (مصر : ١٩٦١) ، ٢ / ٣٢ ، ٢ / ١٨٧ .

[١٠٧] الخطابي ، العزلة ، ٨ .

في غير ذلك فأمسك) [١٠٨]. فهو يخالط الناس ويجلس في مجالسهم ولكنه لا يخوض معهم في كل حديثهم مثلاً ، فإذا كان منهم ما فيه خير دخل معهم ، وان كان فيه غير ذلك لم يخالطهم فيه .

وبناءً على ذلك فقد كان أحمد بن حنبل يميل إلى العزلة ويؤثرها لكنه كان حريصاً على حضور الجماعات في المسجد ، والقيام بالواجبات الاجتماعية من الصلاة على الجنائز واتباعها وعيادة المرضى وغير ذلك . [١٠٩]

ومنهم من أعتزل أشخاصاً معينين في المجتمع ، لتحفظهم على سلوكهم فعندما قال رجل من أهل الأهواء والبدع لأيوب السختياني [١١٠]، يا أبا بكر أريد أن أسألك عن كلمة ولى عنه وهو يقول : (ولا نصف كلمة ، مرتين) [١١١]. وقد دعا أبو قلابة الجرمي [١١٢]إلى اعتزال أهل الأهواء إذ قال : (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا أأمن من أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) [١١٣]. وعن هؤلاء قال : ابن الجوزي : (إن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق ، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين) . [١١٤]

ومنهم من اختار الصمت كنوع من أنواع العزلة فمن المعلوم أن الكلام أحد المقومات الأساسية لإدامة الصلة مع الناس ، لكن بعضهم أختار الصمت لقطع هذه الصلة فلا يخوض فيما يخوض به الآخرين من الغيبة والنميمة وفضول الكلام والمباهات وغيرها من الأمور التي حذر منها الشرع ، قال ابن الوزير : (إن العزلة إلى حفظ اللسان من قبيح الكلام ومكروهه وفضوله وما لا يعني الإنسان منه) [١١٥]. وفي الصمت النجاة من هذه الآفات الاجتماعية قال رسول الله (□) : (من صمت نجا) . [١١٦]

وبناءً على ذلك فقد عدّ وهيب بن الورد أن العزلة تكون في اللسان [١١٧]. وكان الخليل بن أبي نافع المزني [١١٨] قد اعتزل بالصمت وكان قد اتخذ لوحاً يكتب فيه كل ما يتكلم به ويحصيه آخر

---

[١٠٨] ابن أبي الدنيا ، العزلة ، ٤٤ .

[١٠٩] المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٣٤٢ .

[١١٠] و أيوب بن كيسان السختياني ، يكنى أبو بكر من عباد أهل البصرة ونساكهم ، كان ثقة ثبتاً في الحديث ورعاً كثير العلم ، توفي سنة ١٣١هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٨٣ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٨٠ .

[١١١] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ١٢ .

[١١٢] هو عبد الله بن زيد الجرمي ، يكنى أبو قلابة ، من تابعي البصرة وعبادها وزهادها كان ثقة كثير الحديث ، وكان ديوانه بالشام توفي سنة ١٠٥هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٣٦ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٢٣٧ .

[١١٣] ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ١٣٧ .

[١١٤] تلبيس ابليس ، ٢٨٠ .

[١١٥] محمد بن إبراهيم بن علي ، العزلة ، تحقيق ودراسة قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث ، دار الصحابة للتراث ، ط١ ، (مصر : ١٩٩٢) ، ٧١-٧٢ .

[١١٦] أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق ، السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب ، ط١ ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ٢ / ١٥٩ .

[١١٧] ابن أبي الدنيا ، الصمت واداب اللسان ، تحقيق ابو اسحاق الجويني ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت : ١٤١٠هـ) ، ٦٣ .

[١١٨] هو الخليل بن أبي نافع المزني ، كان من علماء الموصل وزهادهم وعبادهم ، نزل بغداد ثم اختار الصمت والعزلة توفي سنة ٢١٧هـ . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٣٣٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١ / ٥ .

النهار فإذا هو بضع عشر كلمة [١١٩]. وعندما اعتزل علي بن بكار[١٢٠] ولزم البيت قيل له ما أصبرك على الوحدة فقال : (كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم) [١٢١]. ويبدو أن العزلة الكلامية كانت تمهيداً للعزلة الفعلية وقد تكون نوعاً من التدريب يتدرب بها الزاهد ويرتاض عليها كي يكون مستعداً للعزلة إذا ما اضطر لذلك . ولذلك نجد أن مورق العجلي [١٢٢]قد درّب نفسه على الصمت لمدة عشرة سنوات . [١٢٣]

وقال عبد الله بن أبي زكريا [١٢٤]: (ما عالجت من العبادة شيئاً أشد من السكوت) [١٢٥]. وكان لا يتكلم إلا أن يسئل [١٢٦]. وممن التزم الصمت كذلك مسعر بن كدام [١٢٧]الذي لم يكن بين أقرانه أطول صمتاً منه [١٢٨]. وكان مسلم بن يسار طويل الصمت ، قال إسحاق بن سويد صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة فلم أسمعه تكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق [١٢٩]. كما كان سحنون ، كثير الصمت قليل الكلام [١٣٠]. ولأهمية الصمت فقد مدحه عدد من الزهاد ، من ذلك قول جعفر الصادق (□) : (لا شيء أحسن من الصمت) [١٣١]. وقال الأوزاعي : (العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها صمت ، وجزء منها الهرب من الناس) [١٣٢]. ويبدو أن هؤلاء الزهاد وغيرهم قد مارسوا الصمت على وجه من الوجوه لأن أغلب الزهاد كانوا يبتعدون عن فضول الكلام وفي الحقيقة فإن

---

[١١٩] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٣٣٠ .

[١٢٠] هو علي بن بكار البصري ، يكنى أبو الحسن ، سكن المصيصة مرابطاً كان فقيهاً زاهداً ورعاً توفي سنة (١١٩ هـ) . ابن سعد ، الطبقات ، ٧ / ٣٤٠ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٤ / ٢٧ .

[١٢١] الخطابي ، العزلة ، ١٩ .

[١٢٢] هو مؤرق بن المشمرج العجلي ، يكنى أبو المعتمر من تابعي البصرة وعبادها وزهادها اسند عن جماعة من الصحابة توفي سنة ١٠٥هـ . ابن الأثير ، المختار من مناقب الأخيار ، ٥ / ٧٠ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ١ / ٣٠٦ .

[١٢٣] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٢ / ٢٦٧ .

[١٢٤] هو عبد الله بن أياس بن يزيد الخزاعي يكنى أبو يحيى ، من قراء أهل الشام وعبادهم وزهادهم ، توفي سنة ١١٧هـ . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١٤٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧ / ١٨١ .

[١٢٥] الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ١ / ٧٧٦-٧٧٧ .

[١٢٦] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٤٩٨ .

[١٢٧] هو مسعر بن كدام بن ظهير العامري يكنى أبو سلمة ، كان عالماً ، عابداً كثير البكاء ، توفي سنة ١٥٥هـ . ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٣٦٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ / ١٥٩ .

[١٢٨] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٣ / ٩١ .

[١٢٩] ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦١ / ١٠٢ .

[١٣٠] القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق عبد القادر الصحراواي ، مطبعة فضالة ، ط١ ، (المغرب : ١٩٦٦) ، ٤ / ٥٣ .

[١٣١] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٣ / ٢٢٨ .

[١٣٢] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٤ / ٤٦٧ . وللمزيد من النماذج ينظر : ابن أبي الدنيا ، الصمت وآداب اللسان ، ٦٢ ، ٦٧ ؛ أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ٣٨٣ ؛ ٨ / ٣٩٢ ؛ ٩ / ٢٨٨ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٣ / ١٩٨ ؛ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق بسام محمد بارود ، طبع المجمع الثقافي ، (أبو ظبي : ٢٠٠١) ، ٣١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٦ / ٢١٩ ؛ ٦ / ٢٨٠ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ،١ / ٢٥٦ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن السمت في الصمت ، تحقيق أحمد محمد سليمان ، العلم والايمان للنشر ، ط١ ، (مصر : ٢٠١٠) ،٨٣ ؛ ٨٦ ؛ ٨٧ .

الصمت ينسجم مع طبيعة الزاهد القائمة على السكون والوقار . قال أبو العلا عفيفي : (ومن أساليب المجاهدة الصمت عن الكلام ، لا بمعنى حبس اللسان عن الكلام اطلاقاً ، أو في فترات مقررة كما في الرهبنة المسيحية ، بل بمعنى التحفظ في القول ، وعدم الاسترسال في اللغو أو البوح بالسر) .[١٣٣]

وبعد استعراض مسألة عزلة الزهاد عن المجتمع لا بد من الإشارة إلى أن أستقراء أحوال زهاد القرن الثاني الهجري كثيراً ما نلحظ الزهاد بين الناس يخالطوهم سواء أكان بصورة واعظ أم معلم أم آمر بالمعروف وناهي عن المنكر أم مجاهد في سبيل الله أم متنقلاً في طلب العلم . ولكن يبدو أن من اختار العزلة الفعلية من الزهاد كان عددهم قليلاً بالقياس مع الزهاد الآخرين وذلك لأن كثيراً من الزهاد قد نادوا بالعزلة وحثوا عليها لكنها كانت في الغالب أمنيات لم يبلغوها بالمستوى الذي كانوا يتمنونه لإدراكهم عدم شرعية العزلة الكلية عن المجتمع ، ومن الشواهد على ذلك : قول سفيان الثوري : (إلهي لقد علمت أن لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين) [١٣٤]. وقال الربيع بن أبي راشد[١٣٥] : (لولا أن أخالف من كان قبلي ما زايلت – فارقت – مسكني حتى أموت) [١٣٦]. كما أن الأوزاعي والفضيل بن عياض وبشر الحافي وإبراهيم بن أدهم وغيرهم لم تثبت عزلتهم وانكفاؤهم عن المجتمع . ويبدو أن دعوات هؤلاء الزهاد وغيرهم في وجوب العزلة ولزوم البيوت والفرار من الناس وغيرها من الدعوات التي كانت تطلق هنا وهناك كانت موجهة لعامة الناس في محاولة منهم لإصلاح من لم يصب بالآفات الاجتماعية ، فأرادوا من خلال الدعوة إلى العزلة الحفاظ على من بقي سليماً من آفات الفتنة ولم تجرفه بعد ، وهذا ما لحظناه من وصاياهم ونصائحهم لعامة الناس من ذلك :

قول إبراهيم بن أدهم ناصحاً الناس : (من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة الناس وإلا لم ينل ما يريد) [١٣٧]. وكان الفضيل بن عياض كثيراً ما يقول : (أحفظ لسانك وأقبل على شأنك وأعرف زمانك وأخفي مكانك) [١٣٨]. وعندما قال رجل لعلي بن بكار أوصني ! قال : (اتق الله وألزم بيتك وامسك لسانك وأترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك) [١٣٩]. وقال رجل لبشر الحافي أوصني قال : (عليك بلزوم بيتك وترك ملاقاة الناس) .[١٤٠]

---

[١٣٣] التصوف ، ١٤٥ .

[١٣٤] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٧ / ٦٣ .

[١٣٥] هو الربيع بن أبي راشد الكوفي ، يكنى أبو عبد الله كان عابداً قانتاً خاشعاً ذاكراً للآخرة ، كثير الخوف من الله تعالى ، توفي سنة ١٢١ هـ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٣ / ٧٦ ؛ ابن الأثير ، المختار من مناقب الخيار ، ٢ / ٣٧٨ .

[١٣٦] أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ٥ / ٨٩ .

[١٣٧] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥ / ٤٤٧ .

[١٣٨] ابو نعيم الأصهاني ، حلية الأولياء ، ٨ / ٩٧ .

[١٣٩] ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٤ / ٤٧٥

[١٤٠] ابن الملقن ، طبقات الأولياء ، ١١٧ .

الخاتمة

يتبين مما سبق ذكره ان العديد من زهاد القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي كانت لديهم دعوات للعزلة وان كانت بنسب متفاوتة بين العزلة الكلية أو الجزئية بسبب عوامل دينية واجتماعية وسياسية ، لكن من الملاحظ أن من اختار العزلة الفعلية منهم كان قليلاً بالقياس مع الزهاد الآخرين وذلك لأن كثيراً منهم قد نادوا بالعزلة وحثوا عليها لكنها كانت في الغالب أمنيات لم يبلغوها بالمستوى الذي كانوا يتمنونه .

قائمة المراجع

أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٠). الزهد. دار أطلس للنشر.

أبو العلا عفيفي. (١٩٦٣). التصوف: الثورة الروحية في الإسلام. دار المعارف.

أبو الشيخ الأصفهاني، عبد الله بن محمد. (١٩٩٢). طبقات المحدثين بأصبهان والواردين إليها (ط٢). مؤسسة الرسالة.

أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله. (٢٠١٠). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ط٤). دار الكتب العلمية.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد. (١٩٩٢). العزلة والانفراد. مكتبة الفرقان.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد. (١٩٩٠). الصمت وآداب اللسان. دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم. (١٩٧٩). الكامل في التاريخ (ط١). دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، المبارك بن محمد. (٢٠٠٣). المختار من مناقب الأخيار (ط١). مركز زايد للتراث والتاريخ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (ط١). دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (٢٠٠١). صفة الصفوة (ط٤). دار المعرفة.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (٢٠١١). تلبيس إبليس. دار ابن الجوزي.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (١٩٧١). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار صادر.

ابن سعد، محمد بن سعد. (١٩٩٠). الطبقات الكبرى (ط١). دار الكتب العلمية.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم (ط١). دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠٠٥). لسان العرب (ط١). دار الكتب العلمية.

إبراهيم بسيوني. (١٩٦٩). نشأة التصوف الإسلامي. دار المعارف.

إحسان عباس. (١٩٥٢). الحسن البصري: سيرته وشخصيته وتعاليمه. دار الفكر العربي.

الأزهري، محمد بن أحمد. (٢٠٠١). تهذيب اللغة (ط١). دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٩٨٧). كتاب الزهد الكبير (ط١). دار الجنان.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٧٨). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (ط٤). دار العلم للملايين.

الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٣). التعريفات. دار الكتب العلمية.

الحسين بن محمد بن المفضل. (١٩٩١). المفردات في غريب القرآن (ط١). دار القلم.

الخطابي، حمد بن محمد. (١٩٧٨). العزلة (ط٢). المطبعة السلفية.

الذهبي، محمد بن أحمد. (١٩٩٣). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ط٢). دار الكتاب العربي.

الذهبي، محمد بن أحمد. (٢٠٠٣). سير أعلام النبلاء (ط١). مكتبة الصفا.

الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٨٢). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. مطبعة العاني.

السلمي، محمد بن الحسين. (١٩٩٨). طبقات الصوفية (ط٢). دار الشعب.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (٢٠١٠). الأربعون في الزهد (ط١). دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (٢٠٠٤). إحياء علوم الدين (ط١). دار المعرفة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٩٨٨). كتاب العين. دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٩). القاموس المحيط (ط٣). دار الكتب العلمية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (٢٠٠٩). الرسالة القشيرية (ط٤). دار الكتب العلمية.

محمد بركات البيلي. (١٩٩٣). الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس. دار النهضة العربية.

مصطفى حلمي. (١٩٧٩). الزهاد الأوائل (ط١). دار الدعوة.

مصطفى حلمي. (١٩٨٤). الحياة الروحية في الإسلام (ط٢). الهيئة المصرية العامة للكتاب.